المصطلحات البلاغية في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت209هـ) وصف وتحليل

The Rhetorical Terms In The Book Of Abu Obeida "Metaphor in Holly Coran"

Descriptive And Analysis

تاريخ الإرسال:23-05-2018 تاريخ القبول: 18-06-2018

الدكتور: نور الدين دريم

nour_drim@hotmail.fr

قسم اللغة العربيّة - جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف (الجزائر)

الملخص:

تهدف الدراسة لمكاشفة أحد الكتب التراثية وهو كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة، من خلال استقراء جملة المصطلحات البلاغية التي صاغها المؤلف في كتابه، ومن ثمّ الوقوف على مفاهيمها؛ لأنّ هذا المرجع في نظرنا يمثل مهد المصطلح البلاغي لأنّه نشأ خدمة للقرآن الكريم، وقد أغفل بعض الدارسين إسهامات كتب معاني القرآن في الدرس البلاغي إن على مستوى التنظير، أو مستوى صياغة المصطلح، وقد بينت الدراسة في نتائجها أسبقية علماء المعاني في التأسيس للدرس البلاغي العربي.

الكلمات المفتاحية: أبو عبيدة، البلاغة، المصطلحات البلاغية.

Summary:

This research aims to reveal the rhetorical terms used by Abu Obeida in his book "Metaphor in Holly Coran", and the state of the rhetorical statements, which he showed in his book, and how he contributed to the founding of the Rhetorical Arabic lesson. Abu Obeida's impact after him.

Key words: Rhetoric, Abu Obeida, rhetorical terms.

مقدمة:

نالت البلاغة العربية – كغيرها من علوم العربيّة – نصيبا وافرا من جهود المهتمّين بالتراث العربيّ، ويظهر ذلك جليّا في تنوّع المؤلفات التي مسّت جوانب كثيرة من البلاغة، فمنها ما أرّخ للبلاغة وحدّد مراحلها، ومنها ما اهتّم بمصطلحاتها، وركّزت أخرى على ترجمة أعلامها وإبراز إسهاماتهم في ضبط مسائلها وقوانينها، دون أن ننسى تلك المؤلفات التي تناولت صلة البلاغة بالعلوم الأخرى، كالنحو، والتفسير، والإعجاز... وغيرها.

وبنظرة عجلى للتراث اللغوي العربي، نجد أنّ قضية الإعجاز القرآني كانت الموجّه الأكبر للبلاغة العربية، في مختلف أطوارها: نشأة، ونموا وتطوّرا، واكتمالا؛ لأنّها كانت سببا مباشرا ودافعا معنويا لجمع كلام العرب، و" حفظه وتدوينه، وتفسيره، ودراسة أساليب القرآن الكريم البيانية، ومقابلتها بأساليب البلغاء، ثمّ استخلاص عناصر الجودة في الأولى، ومواضع التقصير في الثانية؛ ليظهر امتياز القرآن الكريم على كلام الفصحاء الذين استوت لديهم ملكة البيان، ومن أجل خدمتها خاضوا في مسائل البلاغة كالقول في المجاز، وبيان مكانته في التعبير الفني الجميل، والتشبيه والتعمق فيه، والإيجاز والإطناب والالتفات، وبيان الميزة البلاغية وأين تكمن "[1].

لذلك عدّ القرآن الكريم من العوامل الرئيسية التي ساعدت على انطلاق الدراسات البلاغية، وكانت البحوث التي أقيمت حوله خميرة صالحة لبروز مثل هذا التفكير[2]، فلاحت إلى الأفق إرهاصات التأسيس للبحث البلاغي لدى العرب.

وقد حثّ غير عالم على تعلّم فنون البلاغة، ومكاشفة مباحثها، خاصة إذا ارتبطت الدراسة بإعجاز القرآن، وبيان وجوهه، يقول أبو هلال العسكري" إنّ أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفّظ، بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه، علم البلاغة ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحقّ، الهادي إلى سبيل الرشاد، المدلول به على صدق الرسالة، وصحة النبوّة، التي رفعت أعلام الحقّ، وأقامت منار الدين، وأزالت شبه الكفّار ببراهينها، وهتكت حجب الشك بيقينها "[3] ، فتكون البلاغة في هذا المنحى وسيلة لغاية، فالباحث في مواطن الإعجاز في النص القرآني من وجهة بلاغية ، لابدّ له من المرور على جسر البلاغة؛ ليكشف عنها.

وغير بعيد عن هذا ما ذكره عبد القاهر الجرجاني، مبيّنا مزايا علم البيان وفضائله، إذ يقول:" ثمّ إنّك لا ترى علما هو أرسخ أصلا، وأبسق فرعا، وأحلى جنى، وأعذب وردا، وأكرم نتاجا، وأنور سراجا من علم البيان، الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي ويصوغ الحلى، ويلفظ الدرّ، وينفث السّحر، ويقري الشهد، ويريك بدائع من الزّهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثّمر، والذي لولا تحفّيه بالعلوم، وعنايته بها وتصويره إيّاها؛ لبقيت كامنة مستورة ولما استنبت لها يد الدّهر صورة، ولاستمرّ السّرار بأهلّتها، واستولى الخفاء على جملتها إلى فوائد لا يدركها الإحصاء ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء"[4].

من هنا وجّهت هذه الدراسة لاستقراء مباحث البلاغة في كتاب من كتب معاني القرآن، وهو كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة، وقد ركّزنا البحث فيه على المصطلحات البلاغية التي صاغها أبو عبيدة، ولبيان ذلك قامت هذه الدراسة على إشكاليتين هما:

- ما منطلقات البحث البلاغي لدى أبي عبيدة، وما علاقة ذلك بالنص القرآني؟
- ما المصطلحات البلاغية التي تضمّنها كتاب مجاز القرآن؟

وللإجابة عنهما، تطرقنا إلى معالجة مجموعة من المباحث رأيناها تمت بصلة للدراسة، وأهمّها:

- السمات البلاغية في عصر أبي عبيدة.
- أبو عبيدة وكتابه مجاز القرآن.
- البحث البلاغي في كتاب مجاز القرآن.
- المصطلحات البلاغية في مجاز القرآن لأبي عبيدة.

وقد اعتمد في معالجة هذه القضايا على المنهج الوصفي، معتمدا على التحليل في أغلب مواطن الدراسة، كما لم أغفل المنهج التاريخي في بعض مواضع البحث، واعتمدت على الاستقراء كآلية للكشف عن المصطلحات البلاغية الواردة في الكتاب.

أولا: السمات البلاغية في عصر أبي عبيدة.

إنّ تاريخ وفاة أبي عبيدة يشير إلى أنّه قد عاش خلال العصر العباسي (132هـ-656هـ)، وبالذات في الصدر الأول منه، وقدّ عدّ الدارسون هذا العصر (العباسي) أزهى العصور للحضارة الإسلامية في شتّى المجالات، وبخاصة المجال اللغوي بمختلف فروعه، حتّى سمّاه النقاد " العصر الذهبي "؛ لأنّ رقعة الدولة الإسلامية اتّسعت، والأجناس غير العربية (الفرس، الهند،...) بالعرب اختلطت، وفيه التيارات الفكرية انتشرت، وقد أثّرت أيّما تأثير على توجّهات الدرس البلاغي، وأمّا الملاحظات البيانية في صدر هذا العصر فقد اتّسعت ودقّت " بحكم التعمّق في الحضارة، وفي الثقافات الأجنبية، وإتقان الموالي للعربيّة إتقانا جعلهم يكثرون من ملاحظاتهم على خصائصها البلاغية. ومضى كتّاب الدواوين ينهضون بكتاباتهم ناثرين كثيرا من الآراء البيانية التي صدروا فيها عن ثقافتهم وأذواقهم الحضارية المهذّبة ومشاعرهم الدقيقة المرهفة... ونرى اللغويين والنحاة في تضاعيف تعليمهم للشباب الأصولَ اللغوية والنحوية ورواية الشعر القديم يعنون بالتعرض لبعض الخصائص الأسلوبية والبيانية "[5].

وفيه نشطت حركة التأليف، وقد مسّ جزء أكبر منها وركّز جلّ اهتمامه على الدراسات التي خدمت القرآن الكريم، فظهرت مؤلفات اعتنت بلغته، وثانية اعتنت بتفسيره، وثالثة اعتنت بمجازه، ورابعة أولت عناية كبرى بنظمه ووجوه إعجازه... ويمكن أن تقسّم هذه الدراسات من وجهة بلاغية إلى أربعة اتّجاهات، وهي " اتّجاه الأدباء والنقاد والكتّاب والرواة، واتجاه النحويين واللغويين، واتجاه دراسات الإعجاز القرآني، واتجاه الدراسات الفلسفية البلاغية "[6]، وفيما يلي بيان كل اتجاه:

الاتّجاه الأول: ونرصد فيه ثلّة من النقاد والأدباء والرواة والكتّاب الذين أسهموا بحظ وافر في التأسيس للمباحث البلاغية في مهادها الأول، وقد مثّلت ملكة السمع في هذا الاتّجاه الأساسَ الذي ينبني عليه الذوق الجمالي وعن طريقها تُلقّفت مواطن البيان، وهو مع ذلك اتّجاه " يربي الذوق، ويشرح العبارة، ويحافظ على بيان التركيب ووضوحه "[7]، وأفضل من مثّل هذا الاتجاه: الجاحظ (ت255هـ) في كتابه البيان والتبيين، وعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) في كتابيه الدلائل والأسرار، وابن الأثير (ت637هـ) في كتابه المثل السائر.

الاتجاه الثاني: ويضمّ هذا الاتجاه علماء كثر – لغويين ونحويين – كانت غايتهم الاهتمام الأمثل بالنّص القرآني، فهم وإن اختلفت مناهجهم في دراسته فهدفهم واحد مشترك؛ لأنّهم حاولوا إبراز وجوه إعجازه من وجهة لغوية ونحوية، ويظهر هذا عند أبي عبيدة (ت210هـ) في كتابه مجاز القرآن، وعند ابن فارس(ت395هـ) في كتابه الصاحبي في فقه اللغة، وعند ابن جني (ت392هـ) في كتابه الخصائص. وقد شكّلت المباحث اللغوية في مؤلفات أصحاب هذا الاتجاه نواة النظر البلاغي عند أصحاب الاتّجاه الأول في مرحلة تالية (مرحلة التنظير البلاغي).

الاتجاه الثالث: كان هدف أصحاب هذا الاتجاه إيجاد طرائق لفهم أساليب القرآن الكريم من وجهة بلاغية، للوقوف على وجوه إعجازه، وقد ظهر ذلك في كتب الإعجاز القرآني، وعلى رأسها: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم للرماني (ت386هـ)، والخطّابي (ت388هـ)، وللجرجاني (ت471هـ)، وتأويل مشكل القرآن وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت276هـ)، وإعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني (ت403هـ).وقد مثّلت هذه " الكتب طرائق فهم القرآن الكريم من

خلال الوجهة البلاغية، وهي لا تختلف في هدفها عن الدرس البلاغي عند البيانيين، إلاّ أنّها تجعل هذه المفردات البلاغية في كلام العرب خدمة لكتاب الله، إذ لا تقف في إظهار اللون البلاغي في كلام العرب، بل لا بدّ من وصل ذلك بكلام الله تعالى"[8]، فمدار الأمر كلّه خدمة النص القرآني وكشف جوانب إعجازه من وجهة بلاغية.

الاتجاه الرابع: وأبرز من يمثّله – وقد عايش مرحلة التحجير أو الجمود كما اصطلح عليها- السكّاكي (ت626هـ) في كتابه مفتاح العلوم، وبالتحديد القسم الثالث منه، وبعض كتب التلخيص وشروحها، وما يلفت النظر في هذا الاتجاه أنّه " كان مفهوما في عصره، وذلك لأنّ الذي لخّص قد قام بعمل يتكئ فيه على غيره، كما أنّ الذي شرح اعتمد على مشروح غيره، والذي كتب التقرير قد أسس على كلام غيره "[9]، بمعنى أنّ روح الإبداع في هذه الفترة قد فقدت؛ وشكّل الشرح والتلخيص محور الدرس البلاغي وأهمل النظر في المتن والملخَّص، ممّا صعّب دراسة هذا النوع من البلاغة.

وإنّ محاولة الإلمام بهذا الاتجاهات وظواهرها في عصرنا، ترشدنا إلى أنّها " تدور في البلاغة القرآنية، والاتّجاه الأدبي، وآخر نقدي، ورابع فلسفي، وكلّها لها رسوم ومعالم واضحة، ومؤلفاتها تتراءى في حشد كبير في المكتبة العربية في العصر الحاضر "[10]، وإنّما تبنينا هذا القول؛ لما ميّز منهج مؤلفيها في معالجة الظواهر اللغوية، بما في ذلك النص القرآني، وخاصة المنحى البلاغي فيها.

وما يهمّنا في بحثنا هذا هو الاتجاه الذي ينتمي إليه أبو عبيدة ، والسمات البلاغية التي ميّزت هذا الاتّجاه، حيث كان فيه البحث البلاغي في بداياته الأولى، فجلّ الملحوظات البلاغية قبل نزول القرآن الكريم، وفي العصر الإسلامي الأول، كانت خاضعة للذوق، مع الاستناد إلى بعض القواعد التي من شأنها أن تفضي إلى تعليل القول إن على مستوى الجودة أو الركاكة، " ولما اتسعت الفتوحات الإسلامية، واختلط العرب بغيرهم، وضعف الاعتماد على الذوق وحده؛ كان لا بدّ من أن تقعّد القواعد، فوضع أبو عبيدة مجاز القرآن وهو إن كانت عنايته لغوية فلقد كانت له بعض الملحوظات البيانية "[11]، فمثّل عصره المرحلة الأولى لنشأة البلاغة العربيّة، وقد وصفها بعض الباحثين بأنها من بين المراحل التي استعصى ضبطها، وقلّ وضوحها، يقول حمادي صمود متحدّثا عنها " تعتبر هذه المرحلة أقل المراحل وضوحا، وأكثرها استعصاء على الضبط الدقيق؛ لأنّها تمثّل طور نشأة العلم، وبداية التعرض لمسائله المختلفة "[12]. وما يمكن استنتاجه ممّا سبق هو أنّ مباحث البلاغة في بداية هذا العصر قد سخّرت لفهم النص القرآني، واستعين بها على تأويل مشكله.

ثانيا: أبو عبيدة وكتابه مجاز القرآن.

هو أبو عبيدة النحوي معمر بن المثنى، مولى تيم بن مرة، ولد سنة 110هـ، كان أوسع أهل البصرة علما باللغة والنحو والأدب، وأخبارها وأيامها، وقد قيل فيه" لم يكن في الأرض خارجيّ ولا جماعيّ أعلم بجميع العلوم منه "[13]. ويدلّنا على سعة علمه وإجادته لفنون متنوّعة، ما ذكره الحموي عنه، إذ يقول " كان أبو عبيدة ما يفتّش عن علم من العلوم، إلاّ كان من يفتشه عنه يظّن أنّه لا يحسن غيره، ولا يقوم بشيء أجود من قيامه به "[14]، فيدلّنا هذا على أنّنا أمام عالم متبحّر في علوم العربيّة، قد أتقن الصنعة، وأنفد كلّ ما أوتي في خدمة النص القرآني، متسلحا بما أتقنه من علوم، توفي سنة 209هـ.

2-1 .كتاب مجاز القرآن ودلالة مصطلح المجاز فيه :

1. 1. 2 .دلالة مصطلح المجاز في الكتاب:

عند استقرائنا لكتاب المجاز وجدنا أنّ أبا عبيدة، قد استخدم في تفسيره للآيات القرآنية، عبارات متنوعة، نذكر منها: " مجازه كذا " – وقد أكثر من استخدمها مقارنة مع العبارات الأخرى – ، و" تفسيره كذا "، و "معناه كذا "، و" غريبه"، و" تأويله كذا "، و" تقديره "... ويرى محقّق الكتاب أنها بمعنى واحد أو تكاد[15]؛ أي إنّها تنتمي لحقل دلالي واحد؛ لأنّ الكتاب غلب عليه طابع الشرح اللغوي تارة، ومنهج المقارنة بين الأسلوبين، أسلوب القرآن الكريم، والأسلوب العربي (شعرا ونثرا)، تارة أخرى.

وقد بدا لي من خلال استقراء كتاب أبي عبيدة، أنّه كان من أوائل من أذاعوا مصطلح المجاز واستعملوه، ولما استأثر باستخدام مصطلح المجاز في أثناء معالجته للنصوص القرآنية، كان لزاما من أن نوضّح
دلالة هذا المصطلح لديه؛ لأنّه خلّف مواقف مختلفة لدى علماء العربيّة قديما وحديثا[16] – خاصة على مستوى تصنيفه – ، فهل قصد أبو عبيدة بلفظ المجاز ما يقابل الحقيقة، أم أردا به دلالة أخرى؟.

تكلّم أبو عبيدة عن معاني القرآن، وفسّر غريبه، وكان يعرض في بعض المواضع إلى إعرابه، كما شرح أيضا أوجه تعبيره، وقد استخدم في كلّ ذلك كلّه مصطلح " مجاز"، فيدلّنا هذا على أنّه قد استخدم " لفظة المجاز بمدلول يتسع كثيرا عن مدلولها الاصطلاحي (المقابل للحقيقة) الذي اقترن بها فيما بعد، فالمجازات عنده تنصرف إلى معاني الألفاظ أو العبارات تارة وإلى وجوه الصياغة أو طرائق التعبير تارة أخرى، أمّا الغاية التي تتبع من أجلها أبو عبيدة مواطن المجاز بهذا المفهوم الواسع في لغة القرآن الكريم فهي التدليل على أنّ البيان القرآني المعجز لم يحد في معجمه أو في أساليبه عن سنن العربية في التعبير البياني"[17]، بمعنى أنّ لغة القرآن بخصائصها جاءت موافقة للغة العرب، تركيبا وبيانا إلاّ أنّها امتازت بالإعجاز، ويؤكد ذلك أبو عبيدة نفسه، يقول " ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر، ومجاز ما حذف "[18].

يظهر ممّا تقدّم أنّ أبا عبيدة استخدم مصطلح المجاز بدلالة واسعة غير تلك التي تقابل مصطلح الحقيقة، " ويبدو أنّ فهم المجاز على هذا النحو، كان سائدا في الدراسات اللغوية الأولى التي انطلقت من القرآن إلى أواخر القرن الثاني ومطلع الثالث بدليل أننا نجده بنفس المعنى عند مؤلف آخر معاصر لأبي عبيدة واشتغل مثله بالنّص القرآني ووصلنا مؤلفه، ونقصد بذلك الفراء صاحب معاني القرآن "[19]، فغاية تفسير القرآن وبيان وجوه إعجازه، كانت سببا وجيها في اتساع دلالة المصطلح.

والدلالة نفسها لمصطلح المجاز وجدناها عند ابن قتيبة (ت 276هـ)، فقد أثبت أنّ للعرب مجازات في كلامها، وبيّن معناها وعّددها، يقول " وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها: طرق القول ومآخذه، ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص "[20].

وخلاصة القول إنّ أبا عبيدة، قد أطلق لفظ المجاز ليدلّ به على استعمال بلاغي في مواضع من كتابه، وأطلقه في أخرى ليدلّ به على استعمال لغوي، في إطار علاقة تغير دلالة الكلمة بتغيّر بنائها أو مواقعها في الكلام تبعا لسياقاتها، وأطلقه في ثالثة ليدلّ به على تغّير أحوال الكلم من جهة الإعراب.

2.2.كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة.

يعدّ كتاب المجاز من باكورة الأعمال القرآنية، في التراث اللغوي العربي، التمس فيه أبو عبيدة معاني الآيات القرآنية وغريبها، وبيان مشكلها، وقد ألّفه –كما جاء في كتب التراجم – سنة 188هـ، وقصة تأليفه مشهورة، فقد تمّ ذلك بعد التقاء أبي عبيدة بالفضل بن الربيع بطلب من هذا الأخير.

افتتح أبو عبيدة كتابه بمقدّمة تطرّق فيها للحديث عن مباحث لغوية تعلّقت بالقرآن الكريم، ومنها معنى كلمة قرآن ومادة اشتقاقها، ثمّ انتقل للحديث عن النص القرآني وما تضمّنه من فنون الكلام، مشيرا إلى أنّ القرآن الكريم يشبه في نظمه كلام العرب، ممثّلا لذلك كلّه.

وبعد ذلك دلف إلى تفسير الآيات القرآنية، مراعيا في ذلك ترتيب السور، بادئا بآيات الفاتحة، منتهيا بآيات سورة النّاس، وقد اتّبع في ذلك منهجا لا يكاد يحيد عنه، فبعد أن يشرح الآية بالقرآن يثني شرحها بالحديث شرط أن يكون هذا الأخير في معناها، ثمّ يتبع ذلك كلّه بشواهد من كلام العرب منظومه (شعر)، ومنثوره (أمثال، حكم، أقوال مأثورة...وغيرها). مع حرصه الدائم على بيان " صلة أسلوب القرآن وفنون التعبير فيه، بأساليب العرب وفنونهم "[21]، فتجده عقب كلّ شرح يختم كلامه بعبارة " والعرب تفعل كذا ".

لم تكن غاية أبي عبيدة من تأليف كتابه إثبات عربيّة القرآن الكريم، بل سعى ليؤكّد حقيقة مفادها أنّ فهم أساليب القرآن يتوقف على فهم أساليب العرب؛ لأنّ لفظ القرآن عربيّ ، فهو حين " كان يوضح لفظا أو تركيبا إعرابيا أو أسلوبا بيانيا من القرآن الكريم بالشعر، لم يذهب إلى إثبات عربية القرآن كما يتوهم البعض، بل كان يقصد إلى دراسة الشعر العربي وكلام العرب ومخارجها في الكلام؛ لأنّ القرآن نزل بلغة العرب ومتحدّيا لهم ومن جنس كلامهم، ولا يمكن فهم القرآن، ولا معرفة وجه إعجازه ولا استخراج دقائق تشريعاته، إلاّ بدراسة اللغة العربية وآدابها "[22].

لما اتّخذ أبو عبيدة في دراسته لمجاز القرآن من فقه العربية وخصائصها وأساليبها واستعمالاتها مستندا، عدّت دراسته من قبيل تفسير القرآن بالرأي، " وهو الأمر الذي كان يتحاشاه كثير من اللغويين المعاصرين له، فقد تعرّض أبو عبيدة إلى كثير من النقد من أمثال الأصمعي، وأضرابه "[23]، وقيل إنّ الفرّاء تمنّى أن يضربه، إلاّ أنّ المتتبع للواقع اللغوي في زمن عبد الله بن عباس، يجد أنّ أبا عبيدة لم يكن بدعا " في هذا الاتجاه، فقد سبقه في نفس الاتجاه تقريبا ابن عباس الذي استطاع أن يؤسس مدرسة في التفسير عرفت باسمه، تكشف عن أسلوب القرآن، ومعانيه ووجه إعجازه، بمقارنته بالأدب العربي، شعره، ونثره"[24] ، كيف وهو القائل(عبد الله بن عباس) " إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر، فإنّ الشعر ديوان العرب "[25].

لقد كان كتاب مجاز القرآن ذا قيمة لغوية وعلمية، أفاد منها من جاؤوا بعده في مجالات شتّى، ولهذا السبب خلّفت قضية تصنيفه ضمن شجرة العلوم اللغوية جدلا بين العلماء والدارسين، قديما وحديثا، فقد " اعتبره بعض

القدماء، وتبعهم في ذلك فريق من المحدثين كتاب تفسير،... وعدّه أبو إسحاق بن علي الشيرازي (ت475هـ) صاحب اللمع في أصول الفقه، كتاب مجاز بالمعنى الاصطلاحي، وذهب كلّ من طه حسين وإبراهيم مصطفى إلى أنّه كتاب لغة، وسبب هذا الاختلاف كامن في خصائص الكتاب، فموضوعه قرآني، ومنهجه لغوي، وعنوانه والداعي إلى تأليفه بلاغيان "[26]. فنحن إذن أمام مدوّنة تراثية حوت درر جمّة من علوم العربيّة، فما نصيب البحث البلاغي في هذه المدوّنة؟.

ثالثا: البحث البلاغي في كتاب مجاز القرآن.

إنّ ما يهمّنا في هذا الكتاب، ويرتبط ارتباطا مباشرا بدراستنا في حيّز هذه الدراسة، هو المباحث البلاغية التي تطرقّ إليها أبو عبيدة.

لقد أشار غير واحد من الباحثين والدارسين لكتاب مجاز القرآن، إلى أنّه قد تضمّن جملة من المباحث البلاغية، والتي شكّلت مادة اتّكأ عليها البلاغيون – بعد أبي عبيدة –، لتأسيس علم البلاغة، وإنّ " خير ما يعطينا صورة واضحة عن نفاسة الملحوظات البلاغية التي ذكرها أبو عبيدة، والتي تنتظم كثيرا من علمي المعاني والبيان، والتي تدّل على قدم راسخة للرجل في هذه المضمار "[27]، ما تضمّنه كتاب مجاز القرآن، من توجيهات بلاغية لآي القرآن في مواضع متعددة من الكتاب – وخاصة ما جاء في مستهل الجزء الأول منه – ، موظّفا فيها مادة بلاغية صرفة، ومن ذلك – على سبيل المثال لا الحصر– ، قوله " ومن مجاز ما وقع المعنى على المفعول، وحوّل إلى الفاعل، قال" وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ "[28]، والمعنى على الشاء المنعوق به، وحوّل على الراعي الذي ينعق بالشاء "[29].

وفي السياق نفسه، قال أحد الدارسين، متحدّثا عن الكتاب وأثره في الخالفين، " أمّا أبو عبيدة فيكفينا أن نقف مع كتابه مجاز القرآن، وسنجد في هذا الكتاب كثيرا من الأساليب البلاغية والمباحث البيانية التي كانت أساسا أفاد منها كلّ أولئك الذين جاؤوا من بعده، والتي تدلّ كذلك على أصالة نشأة البلاغة العربيّة "[30] ؛ لأنّ بعض أعداء العربية والإسلام شكّكوا في أصالة نشأة البلاغة العربية، ورأوا أنّها تأثرت في نشأتها ببلاغات أجنبية كالهندية، واليونانية، وباطل ما كانوا يزعمون، فاشتمال " مجاز القرآن على بعض ألوان البلاغة، محدّدة بأسمائها، مع سبق زمنه التأليفي عن البيان والتبيين للجاحظ، يدلّ على أنّ البلاغة في نشأتها الأولى، كانت عربية خالصة، وأنّ ما ردّده أبو عبيدة من كلمات الكناية والتشبيه والمثل والاستعارة، مع سعة شمولها إذ ذاك، كان وليد اتّجاه عربيّ يبعد كل البعد عن بلاغة أرسطو"[31]، ويظهر من هذا القول أمران مهمّان: الأوّل منهما هو أصالة نشأة البلاغة العربيّة؛ لأنّ بعض الدارسين يرون أنّ البلاغة العربية نشأت متأثرة بالبلاغة اليونانية، فهم يرون بإجماع أنّ إسحاق بن حنين(ت260هـ)، وحنين بن إسحاق– ابنه– (ت299هـ)، كان أحدهما أول من نقل كتاب الخطابة لأرسطو عن اليونانية إلى العربية، وبمقارنة زمنية يثبت بطلان هذه الحجّة؛ لأنّ أبا عبيدة توفي سنة 210هـ، فبين وفاتهما خمسون سنة، فكم كان عمر إسحاق بن حنين حين توفي أبو عبيدة حتّى يترجم كتاب الخطابة، أضف إلى ذلك أنّ أبا عبيدة – في أرجح الروايات – قد ألّف كتاب المجاز سنة 188هـ، فالفارق الزمني كفيل بردّ هذه المزاعم.

والأمر الثاني: ممّا لا يدع مجالا للشكّ، أنّ كلّ ما تناقله علماء البلاغة بعد أبي عبيدة ممّا ثبتت نسبته إليه من مباحث البلاغة، عربيّ خالص صميم.

على الرغم من إثبات كثير من الدارسين المحدثين لاشتمال مجاز أبي عبيدة على مباحث بلاغية كثيرة، إلاّ أنّ حمادي صمود خالفهم ورأى بأنّه لم يتضمن كثيرا منها، مع وصفه إيّاها بالضعف، يقول " مجاز القرآن على أهمية موضوعه ومنهجه، لم يحو من المعطيات البلاغية أكثر ممّا حوت كتب اللغة الأخرى، وهي مسائل تتعلق بالتركيب لا بما يطرأ على معنى الكلمات من تغيير وتبديل، فكان مصطلح المجاز مستعملا في غير معناه الاصطلاحي التي سيتبلور مع الجاحظ، وتكاد دراسة الأساليب لا تتجاوز مجرد الوصف، ويعزى ذلك إلى ضعف المباحث البلاغية في ذلك الطور، والمنهج الذي اختاره المؤلف، وما علّق به من مقاصد، كما قد يعزى إلى نظرية المؤلف في اللغة والاستعمال "[32]، إن سلمنا بضعف المباحث البلاغية – في نظر حمادي صمود – لدى أبي عبيدة نظرا للمنهج الذي اتبعه في كتابه والمقاصد التي رامها من وراء تأليفه، فإننا لا ننكر أنّ المادة البلاغية التي حواها كتاب المجاز شّكلت نواة البحث البلاغي العربي عند من جاء بعده، ودليلنا في ذلك أقوال أبي عبيدة الواردة في مؤلفاتهم، وخاصة المؤلفات التي اتخذت من الجانب البلاغي موضوعا لها.

رابعا: المصطلحات البلاغية في مجاز القرآن لأبي عبيدة.

لقد تمكّن أبو عبيدة من خلال دراسته لمجاز القرآن، من أن يكشف عن بعض المسائل البلاغية، والتي شكلت في مرحلة تالية نواة تأسيس للبلاغة العربية، منها ما تعلّق بالمصطلح البلاغي، ومنها ما تعلّق بالمقولات البلاغية.وسنشرع أولا في الحديث عن المصطلحات البلاغية، ونثني بالحديث عن المقولات التي تضمّنها الكتاب.

إنّ كلا من المصطلح والمفهوم والحدّ أركان يكمّل بعضها بعضا، ولا يمكن بحال من الأحوال أن نغفل واحدا منها؛ لأنّها الوسيلة التي تكفل نقل العلوم – بشتى فروعها- ، وهي كما قيل مفاتيحها، كما " يعتبر هذا الثالوث خاصة المصطلح والحدّ من أهم من المؤشرات التي نتبيّن بها ما وصل إليه العلم من نضج وتمكّن، إذ لا يتسنى أن يتسنّم هذه الدرجة من التجريد العقلي إلا بعد عمل تمهيدي طويل، ومباشرة متواصلة لمادة ذلك العلم، فلا يتصور أن تنشأ عن طفرة وإلهام "[33]. وكذلك علم البلاغة فقد كانت مصطلحاته في هذه الفترة في طور الإرهاصات الأولى، " فمن القضايا ما قد فاز بالمصطلح المناسب والحدّ الفاصل، ومنها ما لا دليل على وجوده من الناحيتين جميعا، ومنها ما لا يزال متقلقلا إن حدّا وإن مصطلحا، والمادة البلاغية الراجعة إلى هذه الفترة لا تخرج في الجملة عن هذا الإطار العام "[34]. وقد لمسنا ذلك في مجاز القرآن لأبي عبيدة، فهو يشير تارة إلى المصطلح البلاغي دون تحديد مفهومه، وأخرى يستعمل مصطلحا غير الذي استقرّ عليه في فترة متأخرة من البحث البلاغي، وفي مواضع نادرة يشير إلى مفهوم المصطلح البلاغي، ومنهجنا في إيراد المصطلحات البلاغية التي اشتمل عليها مجاز أبي عبيدة، هو تتبع مواطنها في كتابه.وهذا بيانها:

التقديم والتأخير: ذكره أبو عبيدة في مواطن كثيرة من كتابه، وقد اصطلح عليه بالمقدم والمؤخر، ويبدو أنّه قصد اللفظ دون الظاهرة، كاشفا عنه دون تعليل، " ولكنّه ينص على أنّه مذهب من مذاهب العرب في كلامها "[35]، ومن مجاز المقدم والمؤخر ، قوله " فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ "[36]، أراد ربت واهتزت ، وقال " لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا "[37]، أي لم يرها ولم يكد "[38]، ومنها قوله في تفسير قوله تعالى " الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ "[39]، مجازه أحسن خلق كلّ شيء، والعرب تفعل هذا، يقدّمون ويؤخرون ، قال الشاعر:

وَطَعنِي إِليكَ اللَّيلَ حِضْنَيهِ أَنَّنِي لِتلكَ إِذَا هَابَ الهِدَانُ فُعُولُ

معناه: طعني حضني الليل إليك.

وقال الراعي:

كَأَنَّ هِندًا ثَنَايَاهَا وَبَهجَتَهَا يَومَ التَقَّينَا عَلَى أَدحَالِ دَبَّابِ

أي: كأنّ ثنايا هند وبهجة هند، دبّاب : مكان سمّى أدحال دبّاب، وهو اسم مكان أو اسم رجل"[40]،

قوله في تفسير قوله تعالى" بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ "[41]، مقدم ومؤخر، مجازه يعدلون بربهم؛ أي يجعلون له عدلا، تبارك وتعالى عمّا يصفون "[42]، ويقول في قوله تعالى " وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ "[43]، مقدم ومؤخر ، مجازه: وعنده أجل مسمّى؛ أي وقت مؤقت "[44].

اكتفى أبو عبيدة بذكر أنّ في الآية تقديما وتأخيرا، دون أن يبيّن الأسرار البلاغية الكامنة وراء ذلك، حتّى عدّ بعض الدارسين نظرته إلى التقديم والتأخير نظرة جامدة خالية من كل إدراك لحقيقة التقديم والتأخير[45].

التشبيه: شكّل التشبيه الجمال الرئيسي في الشعر العربي القديم، وقد استرعى ذلك اهتمام أبي عبيدة وهو بصدد مقارنة أسلوب القرآن بأسلوب العرب في كلامهم، فأتى على ذكر هذا المصطلح لأول مرة، في تفسيره لقوله تعالى " نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ "[46]، حيث قال:" كناية وتشبيه "[47]، ولكنّه لم يزد على ذلك شرحا ولا بيانا له، وممّا أدخله في التشبيه أيضا، قوله تعالى " فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ "[48]، قال متحدّثا عن الآية الكريمة " وهذا من التشبيه؛ لأنّ المشي لا يكون على البطن، إنّما يكون لمن له قوائم فإذا خلطوا ما له قوائم بما لا قوائم له، جاز ذلك، كما يقولون: أكلت خبزا ولبنا، ولا يقال أكلت لبنا، ولكن يقال: أكلت خبزا "[49]، قال الشاعر:

يَا لَيتَ زَوجَكِ قَد غَدَا مُتقَلِّدًا سَيفًا وَرُمحًا

فتراه يستدّل على ذلك من كلام العرب نثره وشعره.

وممّا ألحقه بالتشبيه أيضا مصطلح التمثيل، جاء في تفسير قوله تعالى " عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ"[50]، ما نصه " مجاز شفا جرف شفير، والجرف ما لم من الركايا لها جول قال:

..... جُرفُ هِيامٌ جُولُهُ يَتَهَدَّمُ

وهار مجازه هائر، والعرب تنزع هذه الياء من فاعل، قال العجّاج:

خَلَى الذَنَابَاتِ شِمَالاً كثبا لاَثٌّ بِهِ الأَشَاءُ والعِبرِيُّ

أي: لائث، ويقال : كيد خاب أي خائب، لاث : بعضه فوق بعض، كما تلوث العمامة، مجاز الآية مجاز التمثيل؛ لأنّ ما بنوه على التقوى أثبت أساسا من البناء الذي بنوه على الكفر والنفاق فهو على شفا جرف، وهو ما يجرف من سيول الأودية فلا يثبت البناء عليه "[51]، التمس أبو عبيدة لكلمة " هار " وجوها في العربية، سواء من النثر (خاب، خائب) أو من الشعر (لاثّ، لائث)، لكنّه مع ذلك لم يغفل الصورة البيانية، بل أثبتها بتمامها، فيجدر بنا " أن ننبه إلى معرفة أبي عبيدة بالتشبيه والتمثيل لونين من ألوان التعبير، ...وفهمه للصورة البيانية بوجه عام لا يتعدى الفهم اللغوي "[52]، وربّما يرجع ذلك إلى اهتمامه بأسلوب القرآن أكثر منه بشرح الصورة البيانية والتعمق في إبراز مواطن الجمال فيها.

وقد يعبّر بمصطلح المثل عن التشبيه ويجمع بينهما، قال في تفسير قوله تعالى" فَأَتَى اللَّهُ بُنيانَهُم مِنَ القَواعِدِ "[53]، " مجازه: مجاز المثل والتشبيه، والقواعد الأساس، إذا استأصلوا شيئا قالوا هذا الكلام، وهو مثل "[54]، ومن ذلك أيضا ما ذكره في تفسير قوله تعالى " وَلا تَجعَل يَدَكَ مَغلولَةً إِلى عُنُقِكَ "[55]، مجازه في موضع قولهم لا تمسك عمّا ينبغي لك أن تبذل من الحقّ، وهو مثل وتشبيه "[56]. ومنه أيضا تفسيره لقوله تعالى " فَرَدّوا أَيدِيَهُم في أَفواهِهِم"[57]، حيث قال " مجازه: مجاز المثل وموضعه موضع كفّوا عمّا أمروا بقوله من الحق لم يؤمنوا به ولم يسلموا، ويقال: ردّ يده في فمه، أي أمسك إذا لم يجب "[58].

يتبيّن لنا من الأمثلة السابقة أنّ أبا عبيدة اكتفى بذكر مصطلح التشبيه أو مرادفيه (التمثيل والمثل)، دون أن يحدّد مفهوما له ولا تعريفا، فهو يشير فقط إلى مواطن وقوعه دون ذكر طرفيه ولا أداة التشبيه، ولم يأت أيضا على ذكر أنواعه أو تقسيماته.

الإيجاز: تحدّث أبو عبيدة عنه، في مواضع عديدة في كتابه، ولكنّه لم يسمّه أو يصطلح عليه بمصطلح آخر، بل عدّه من المجازات (طرق التعبير)، وبيّن أنّه من مذاهب العرب في كلامها، وإنّما تلجأ العرب إليه؛ قصد التخفيف. واشترط في ذلك علم المستمع بتمام الكلام. ومن تلك المواضع ما ذكره في تفسير قوله تعالى " وَلَو أَنَّ قُرآنًا سُيِّرَت بِهِ الجِبالُ أَو قُطِّعَت بِهِ الأَرضُ أَو كُلِّمَ بِهِ المَوتى"[59]، حيث قال" مجازه مجاز المكفوف عن خبره، ثمّ استؤنف فقال " بل لله الأمر جميعا "، فمجازه : لو سيّرت به الجبال لسارت، أو قطّعت به الأرض لتقطعت، ولو كلّم به الموتى لنشرت، والعرب قد تفعل مثل هذا لعلم المستمع به استغناء عنه واستخفافا في كلامهم "[60]، ثمّ استدلّ على ذلك بجملة من أشعار العرب، منها قول الأخطل:

خلا أنّ حيّا من قريش تفضّلوا على الناس أو أنّ الأكارم نهشلا

فالشاهد في البيت : أنّ الأكارم نهشلا ، وفيه اختصار والتقدير : أنّ الأكارم نهشلا تفضّلوا على الناس.

ومن ذلك أيضا ما ذكره في تفسير قوله تعالى " وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا"[61]، العرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه، فكأنّه في تمام القول: ويقولون: ربّنا ما خلقت هذا باطلا "[62]؛ أي حذفت : ويقولون لعلم السامع به. فهو في كلّ مرة يشير إلى الحذف ويقدّره، ويبيّن ذلك على أنّه من أساليب العرب.

الإطناب : لم يحدّد له أبو عبيدة مفهوما، ولم يصطلح عليه بما استقرّ عند البلاغيين، فقد " ذكره من غير تسمية وبيّن بعض أغراضه "[63]، كالتوكيد مثلا ، قال " ومن مجاز المكرر للتوكيد قال " رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ رَأَيتُهُم لي ساجِدينَ "[64]، أعاد الرؤية، وقال " أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى "[65] أعاد اللفظ، وقال " فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ "[66] وقال" تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ "[67].

اكتفى أبو عبيدة بذكر هذه النماذج للإطناب، دون تحليلها أو بيان السر البلاغي الذي قد يشير إليه التكرار، فالمكرر عنده في هذه الآيات – سواء كان كلمة أو جملة –، له معنى واحد هو التوكيد.

الاستفهام: من الأساليب التي وقف عندها أبو عبيدة، أسلوب الاستفهام، وقد اصطلح عليه بما استقرّ عند البلاغيين، وبيّن أنّ لأدوات الاستفهام معاني أخرى غير المعاني الأصلية التي وضعت لها. وإن استعمل لغير الاستفهام فلغرض بلاغي.ومن تلك الأدوات: الهمزة وهل.

قال في تفسير قوله تعالى " أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا "[68]، جاءت على لفظ الاستفهام والملائكة لم تستفهم ربّها، وقد قال تبارك وتعالى " إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً "[69]، ولكن معناها معنى الإيجاب، أي إنّك ستفعل، وقال جرير فأوجب ولم يستفهم لعبد الملك بن مروان:

أَلستُم خَيرَ من رَكِبَ المِطايَا وأَندَى العَالمينَ بُطونَ رَاحَة

وتقول وأنت تضرب الغلام على الذنب، ألست الفاعل كذا، ليس باستفهام ولكن تقرير "[70].

وجاء في تفسيره لقوله تعالى " أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا "[71]، ما نصه " الألف ليست ألف الاستفهام أو الشك، إنّما خرجت مخرج الاستفهام تقريرا بغير الاستفهام، " أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا " ؛ أي: وإن كان آباؤهم"[72].

وتحدّث عن معنى هل في تفسير قوله تعالى " هَل يَستَوِيانِ مَثَلًا"[73]، ولاحظ خروجها عن معنى الاستفهامية، فقال" وليس موضع هل هاهنا موضع الاستفهام، ولكن موضعها هاهنا موضع الإيجاب أنّه لا يستويان، وموضع تقرير وتخبير: أنّ هذا ليس كذا "[74].

يبدو أنّ أبا عبيدة قد أدرك في فترة متقدمة من البحث البلاغي المعاني المختلفة لحروف الاستفهام – حين تخرج عن معناها الأصلي الذي وضعت له–، وذلك بفضل تحليلاته لبعض أساليب الاستفهام، والتي وقف عليها في الآيات التي فسّرها.

الالتفات : تحدّث أبو عبيدة عن الالتفات، ولكنّه لم يصطلح عليه بهذا الاصطلاح، بل عدّه من المجاز، وذكر بعض طرائقه، يقول بعض الدارسين متحدّثا عن الالتفات، " أمّا هذه الظاهرة – ويقصد الالتفات – فقد كان يشار إليها في تلك الحقبة من تاريخ البلاغة بمصطلحات أخرى غير مصطلح الالتفات، وهذا ما نجده واضحا على سبيل المثال في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة "[75]. ومنها قوله " ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الغائب، ومعناها للشاهد، قال " الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ "[76]، مجازه ألم هذا القرآن، ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثمّ تركت وحوّلت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قال تعالى" حَتَّى إِذا كُنتُم فِي الفُلكِ وَجَرَينَ بِهِم "[77]؛ أي بكم، ومن مجاز ما جاء خبره عن غائب ثمّ خوطب الشاهد، قال" ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٣٣﴾ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى "[78]، وبعد ذكره لهذه المجازات في أسلوب الالتفات استدل على وقوعه بما جاء في شعر العرب، قال " وقد تخاطب العرب الشاهد فتظهر له مخاطبة الغائب، قال خفاف بن ندبة السلميّ:

فَإن تَكُ خَيلِي قَد أُصيبَ صَمِيمُهَا فَعَمدا عَلَى عَينِ تَيَمَّمتُ مَالكًا

أَقولُ لَهُ والرُّمحُ يَأطرُ مَتنَهُ تَأَمّل خِفَافًا إِنَّني أَنا ذَلكَ

يعني مالك بن حمّاد الشمخي، وصميم خيله، معاوية أخو الخنساء"[79].

يظهر من خلال ما تقدّم أنّ أبا عبيدة، قد اكتفى بمجرد الإشارة إلى ظاهرة الالتفات (ذكرها في مقدمة كتابه)، دون تحديد مفهومها أو شرحها، ذاكرا بعض الشواهد من الشعر العربي التي تثبت طرائق التعبير القرآني، وعليه فإنّ " وقفة أبي عبيدة إزاء ألوان الظاهرة (الالتفات)، وتجلياتها في القرآن، لا تستهدف سوى البرهنة على أنّ كلا منها إنّما هو مسلك تعبيريّ له نظائره في الشعر العربي؛ أي إنّ الرجل كان معنيا بتبرير الظاهرة لا بتحليلها والكشف عن دورها التعبيري في تشكيل المعنى، أو تكثيف الدلالة "[80]. ويرجع ذلك إلى طبيعة المنهج الذي سلكه أبو عبيدة؛ لأنّ فيه نوعا من المقارنة بين أسلوب القرآن وأساليب العرب، ولعلّ فكره بعد عن التحليل والتعمّق، أو أنّ أهل ذلك العصر كانوا على دراية بالجانب الجمالي والفني للالتفات.

المجاز: ذكرنا سابقا أنّ هذا المصطلح قد ورد لدى أبي عبيدة بدلالات متنوعة، وما يهمنا منها هو استعماله بمعناه الاصطلاحي البلاغي، وقدّ دلّ به على ذلك دون أن يحدّد مفهومه، حين أتى على تفسير قوله تعالى"إِلّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها "[81]، يقول " مجازه إلاّ هو في قبضته وملكه وسلطانه "[82] ، ومن ذلك أيضا ما ذكره في تفسير قوله تعالى " وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا "[83]، يقول " مجاز السماء هاهنا مجاز المطر، يقال : مازلنا في سماء أي في مطر، ومازلنا نطأ السماء، أي أثر المطر، وأنّى أخذتكم هذه السماء؟ ومجاز أرسلنا: أنزلنا وأمطرنا "[84].

المجاز العقلي : تعرّض أبو عبيدة للحديث عن المجاز العقلي، دون أن يصطلح عليه بهذا المصطلح، ولا مصطلح آخر، بل اكتفى بشرح صوره في القرآن والاستدلال عليها من كلام العرب، وقد اصطلح عليه أهل البلاغة بالمجاز الإسنادي، " وهذا النوع من المجاز تستعمل فيه الألفاظ المفردة في موضوعها الأصلي، ويكون المجاز عن طريق الإسناد، وإذا ما ذهبنا نستقصي بحث هذا اللون من المجاز عند الأوائل، لا نجدهم يشيرون إلى اسمه هذا أو إلى اسمه الآخر المجاز العقلي "[85]، فلا غرابة في ذلك ما دام البحث البلاغي في خطواته الأولى، فالمصطلح لا بدّ له من فترة زمنية حتّى يستقر ويكتب له التدوال.

ويظهر حديث أبي عبيدة عن هذا النوع من المجاز، حين فسّر قوله تعالى " وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا "[86]، فبيّنه بقوله " مجازه: مجاز ما كان العمل والفعل لغيره، أي يبصر فيه، ألا ترى أنّ البصر إنّما هو في النهار، والنهار لا يبصر، كما أنّ النوم في الليل ولا ينام الليل، فإذا نيم فيه قالوا: ليله قائم ونهاره صائم "[87]، وليزيد الصورة وضوحا استدلّ بقول جرير:

لَقَد لُمتِناَ يا أُمَّ غِيلاَنَ فِي السُّرى وَنِمتِ وَمَا لَيلُ المطِيِّ بِنَائِمِ

فبيّن أنّ الإبصار للذي يبصر فيه لا للنهار، ومع ذلك أسند للنهار ولم يخرج اللفظ(مبصرا) عمّا وضع له في الأصل.

ومن ذلك أيضا ما ذكره معلّقا على قوله تعالى " فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ "[88]، إذ قال " وإنّما يرضى بها الذي يعيش فيها "[89]، فأسند الرضا للعيشة، والأصل فيه أن يكون للذي ينالها، فجاء اسم الفاعل (راض) موضع اسم المفعول (مرضي)، فيكون صاحبها راض والعيشة مرضية، وليثبت هذا الاستعمال استدل أبو عبيدة ببيت رؤبة:

حارثُ قَد فَرّجتَ عَنِّي هَمِّي فَنَامَ لَيلِي وَتَجَلَّى هَمِّي

فأسند الشاعر النوم لليل والمقصود من ذلك، أنّه هو من نام فيه.

الاستعارة: لم يصطلح عليها بهذا الاسم بل أدخلها تحت اسم المجاز، " ويظهر أنّه وجد في كلمة مجاز ما يغني عن الاستعارة، لأنّهما لم يتميّزا عن بعضهما ولم يحددا إلاّ في وقت متأخر"[90]، كما أنّه لم ينص عليها كما نصّ على التشبيه والتمثيل – فيما تقدّم –، وقد أتى على ذكر بعض أمثلتها في مستهل كتابه، ولم يورد لها شرحا أو تحليلا إلا في مواضع نزرة، ومن أمثلة الاستعارة التي أشار إليها من دون شرح ولا بيان: يقول " ومن مجاز ما جاء من لفظ خبر الحيوان والموات على لفظ خبر الناس ، قال " رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ رَأَيتُهُم لي ساجِدينَ "[91]، وقال " قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ "[92]، وقال للأصنام " لَقَد عَلِمتَ ما هؤُلاءِ يَنطِقونَ "[93]، وقال " قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ "[94]..."[95]، فالسجود يكون من قبل الآدمي لا من قبل الكواكب والقمر، والنطق لازم للآدمي وليس للجمادات والحيوان.

ومن أمثلة الاستعارة التي أتى على تحليلها: تفسيره لقوله تعالى" وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقدامَ "[96]، إذ قال" مجازه: يفرغ عليهم الصبر وينزله عليهم فيثبتون لعدّوهم "[97]، وقوله في تفسير قوله تعالى " وَما رَمَيتَ إِذ رَمَيتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى"[98]، " مجازه ما ظفرت ولا أصبت، ولكنّ الله أيّدك وأظفرك وأصاب بك ونصرك، ويقال: رمى الله لك، أي نصرك الله وصنع لك "[99]، وقوله أيضا في تفسير قوله تعالى " وَلَمّا سَكَتَ عَن موسَى الغَضَبُ "[100] ، " أي سكن؛ لأنّ كل كاف عن شيء فقد سكت عنه أي كفّ عنه وسكن، ومنه: سكت فلم ينطق "[101]، وتفسيره لقوله تعالى " فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ"[102]، إذ قال " الفَكِه الذي يتفكه، تقول العرب للرجل إذ كان يتفكه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس، إنّ فلانا لفكه بأعراض "[103]، فاتّخذ من الاتساع مستندا لينقل لفظ " الفكه " عن طريق المجاز من المحسوسات (الطعام والفاكهة) إلى المعنويات (أعراض الناس).

يظهر ممّا سبق أنّ مصطلح الاستعارة لدى أبي عبيدة أقلّ تبلورا من مصطلح التشبيه، على الرغم من أنّها قائمة على علاقة الشبه، فهو وإن أشار في الآيات السابقة إلى أصل الوضع اللغوي للألفاظ، دون أن يغفل أيضا الإشارة إلى العملية المعنوية وهي النقل التي يتضمن وجود مستعار منه ومستعار له، بقي معنى الاستعارة لديه " قريبا من المعنى اللغوي بعيدا عن كلّ تصوّر نظريّ للكيفيات التي تتركّب حسبها هذه الصورة ومختلف المراحل والتحوّلات التي تفصل المعنى الأصلي عن المجاز، كما لم يتفطن إلى صلتها بالتشبيه ولم توضح وظيفتها الفنيّة والأدبيّة، وكلّ ما في الأمر أنّهم أقروها مجازا من مجازات العرب، وطريقة من طرائقهم في الاستعمال "[104]. وهي الغاية التي قصدها أبو عبيدة حين راح يثبت موافقة أساليب القرآن لأساليب العرب من جهة الاستعمال اللغوي.

أما الاستعارات والتشبيهات الواردة في القرآن الكريم والتي تعلّقت بالذات الإلهية أو بالعقيدة أو بصور البعث، فإنّ " موقف أبي عبيدة من هذه جميعا موقف اللغويين، يأخذ بظاهر القول إلى أمد محدود، غايته المعنى المجازي القريب وهو المذهب الذي عرفوا به ولامهم عليه المعتزلة، ولكنّه قد يعمد أحيانا إلى التحلل من التشبيه "[105]، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى " وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ "[106]، بقوله " أي : خير الله ممسَك "[107]، فخرج بهذا التفسير عن التعطيل والتجسيم والتشبيه.

الكناية: اصطلح أبو عبيدة عليها بهذا المصطلح؛ إلاّ أنّه استعملها في كتابه بمعنيين، الأول قصد به الضمير سواء كان منفصلا أو متصلا (وهو استعمال نحوي)، والثاني : قصد به ما تواضع عليه البلاغيون في البحث البلاغي (وهو استعمال بلاغي) أي: الكناية اللغوية.

فمن أمثلة ما استعمالها في سياق بلاغي، ما جاء في تفسيره لقوله تعالى " أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ "[108]، إذ قال معناها " كناية عن إظهار لفظ قضاء الحاجة في البطن، وكذلك قوله تبارك وتعالى " أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ"[109]، كناية عن الغشيان"[110]، وقوله " بَدَت لَهُما سَوآتُهُما "[111]، كناية عن فرجيهما"[112]، وكلّها تمت بصلة للاستعمال البلاغي.

ويظهر استعماله لها بمعنى الضمير في تفسيره لقوله تعالى " إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ"[113]، يقول " وزعم يونس عن أبي عمرو أنّ خاضعين ليس من صفة الأعناق وإنّما هي من صفة الكناية عن القوم التي في آخر الأعناق، فكأنّه في التمثيل فظلّت أعناق القوم في موضع هم والعرب قد تترك الخبر عن الأول وتجعل الخبر للآخر "[114] ، أي خاضعين صفة للضمير العائد على القوم (هم: سمّاه كناية) وليست صفة للأعناق.

ومنها أيضا تفسيره لقوله تعالى " ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ "[115]، يقول " مجازه: على وجهين، أحدهما أنّ بعض العرب يظهرون كناية الاسم في آخر الفعل مع إظهار الاسم الذي بعد الفعل كقول أبي عمرو الهذلي أكلوني البراغيث "[116]. فسمّى علامة الجمع في (أكلوني) كناية.

ودلّ بها أيضا على الضمير المنفصل، يقول " ومجاز " إِيَّاكَ نَعْبُدُ "[117] ، إذا بدئ بكناية المفعول قبل الفعل جاز الكلام"[118]، فإياك في الآية ضمير منفصل في محل نصب.

واستعملها في معناها النحوي دالا بها على اسم الموصول الذي يحل محلّ الاسم، يقول " ومن مجاز ما جاء من الكنايات في مواضع الأسماء بدلا منهن، قال " ما صَنَعوا إِنَّما صَنَعوا كَيدُ ساحِرٍ"[119] ، فمعنى " ما " معنى الاسم ، مجازه إنّ صنيعهم كيد ساحر "[120]، فكأنما " ما " ضمير حلّ محل الاسم الظاهر صنيع، وإن كان قد نبّه على أنّ ما في الآية بمعنى الذي[121].

يتبيّن ممّا تقدّم أنّ أبا عبيدة قد أشار للكناية دون أن يضع لها تعريفا أو حدّا اصطلاحيا دقيقا، فباستقرائنا لكتابه وجدنا معظم استخدامه لمصطلح الكناية فيما أقدم عليه من تفسيرات لآيات القرآن، قد عنى بها الضمير سواء كان منفصلا أو متصلا، وهذا إدراك لغوي منه، أمّا الاصطلاح البلاغي لها ؛أي : اللزوم بين شيئين، فلم يقف عليه إلا في مواضع قليلة.

حروف الزوائد: شكلت قضية زيادة الحروف في القرآن جدلا بين العلماء، فتباينت مواقفهم منها، فمنهم من قال بزيادتها ومنهم من قال بأصالتها[122]، أمّا أبو عبيدة — وهو من أوائل علماء اللغة الذين تحدّثوا عن الزيادة – فلم يغفل الحديث عنها في كتابه (أشار إلى ذلك في جملة وجوه مجازات القرآن التي ذكرها في المقدمة)، وقد قال بزيادة بعض الحروف في القرآن الكريم، ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى " غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ"[123]، إذ قال " مجازها غير المغضوب عليهم والضالين، و" لا " من حروف الزوائد لتتميم الكلام، والمعنى إلقاؤها "[124]، أي: دخول هذا الحرف (لا)

كخروجه، ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى " أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً "[125]، يقول " معناها: أن يضرب مثلا بعوضة، " ما " توكيد للكلام من حروف الزوائد "[126]. فاكتفى بذكر معنى الزيادة دون أن يشير إلى إلقائه، وكأنّه أدرك أنّ زيادة "ما" في هذا الموضع جيء بها لزيادة معنى، وليست من قبيل الزيادة فحسب.

وتعرّض للحديث عنها أيضا حين فسّر قوله تعالى " ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسجُدَ "[127]، حيث قال " مجازه ما منعك أن تسجد، والعرب تضع لا في موضع الإيجاب وهي من حروف الزوائد، قال أبو النجم:

فَمَا أَلُومُ البِيضَ أَلاَّ تَسخَرَا مِمَّا رَأَينَ الشَّمطَ القَفَندَرَا

أي: ما ألوم البيض أن يسخرن "[128] ، وليدّل على زيادتها استشهد بشعر العرب، ليثبت أنّ أسلوب القرآن وافق أساليب العرب، ومن ذلك أيضا ما جاء في تفسيره لقوله تعالى " وَإِن كُنّا لَخَاطِئِينَ "[129]، يقول " مجازه وإن كنّا خاطئين، وتزاد اللام المفتوحة للتوكيد والتثبيت "[130]. هذه المواطن وأخرى ممّا ذكره أبو عبيدة في قضية زيادة الحروف، فهو وإن أشار إلى بعض معاني الزيادة كما تقدّم (تمام الكلام وتوكيده)، فإنّه كان يكتفي في أغلب المواطن إلى أنّ هذه الحروف من الزوائد[131]، وربما كان قاصدا من ذلك الوجهة النحوية، و" أمّا من ناحية النظم القرآني فإنّ البلاغة القرآنية تقتضيها لتؤدي دورها في النظم "[132]؛ ليتم بها الكلام والمقصد وتتأكدّ دلالته.

تلكم هي المباحث البلاغية التي تحدّث عنها أبو عبيدة في كتاب مجاز القرآن، واضعا بعض المصطلحات البلاغية، وكاشفا عن مفاهيم لبعضها الآخر، تناثرت في صفحات كتابه، وقد شكّلت أولى لبنات صرح البلاغة العربيّة، وهي " خالية من التحديدات والتعليلات والتقسيمات البلاغية المعروفة، ولكن يكفيه فخرا أنّه وجّه الدارسين والأدباء لدراسة القرآن والشعر العربي، والتمرس بهما، ولعلّه كان يعتقد أنّ ذلك يؤدي إلى الذوق الأدبي السليم "[133]، وفعلا تمّ ذلك في العصور التي تلته، ولا يزال القرآن إلى يوم الناس هذا الشغل الشاغل للباحثين والدارسين؛ ليكشفوا عن وجوه إعجازه ومواطن بلاغته إن على مستوى الكلمة أو الجملة أو التركيب بله الأساليب.

خاتمة: خلص البحث إلى مجموعة من النتائج، وهي:

– اكتست بنية النص القرآني أهمية قصوى لدى علماء التراث العربيّ؛ ممّا جعل المباحث المتعلقة – ومنها المباحث البلاغية – ماثلة في جلّ العلوم العربيّة التي اتّخذت من القرآن الكريم موضوعا للدراسة؛ لفهم مقاصده ومراميه.

– لم تكن كتب المعاني ذا توجه بلاغي محض، بل كانت ذا طابع لغوي نظري في بعض المواضع وتطبيقي في أخرى، همّها وغايتها توضيح المعنى وتفسير المقال، إذ اكتفت بالإشارة إلى الاستعمال دون تعمّق أو تحليل واف.

– جاء الجانب البلاغي في كتب المعاني جنينيا، لذلك لم نقف منه على عدد معتبر من مصطلحات متبلورة في إطار دراسة نظرية مضبوطة سواء في حدودها أو مفاهيمها.

– تضمّن كتاب مجاز القرآن بعض المصطلحات البلاغية، التي استقرت لدى البلاغيين فيما بعد، فمنها ما كتب له البقاء كما اصطلح عليه أبو عبيدة (بقي بنفس التسمية)، ومنها ما اندثر وحلّ محله مصطلح جديد، ومنه ما أضيفت عليه تقسيمات وتفريعات في فترات زمنية متعاقبة.

– على الرغم من أهمية النشاط البلاغي في أواخر القرن الثاني للهجرة، فقد بدا مشتّتا على مستوى الضبط المصطلحي في كثير من الأحيان؛ لأنّ هذه الفترة هي التي مثّلت إرهاصات النشأة البلاغية، ودليل ذلك الفترة التي تليها، إذ كانت مرحلة التأسيس الفعلي للبلاغة العربيّة على يد الجاحظ بإجماع مؤرخي البلاغة.

– اتخذّ أبو عبيدة من المبحث البلاغي وسيلة للوصول إلى مقاصد الرسالة الدينية، فركّز على البيان بمعناه اللغوي الأصلي أو الوظيفة الإفهامية؛ ولم يبيّن سرّ تفوّق التعبير القرآني من خلال المقارنة التي أجراها بينه وبين أساليب العرب في كلامها؛ فكان ذلك سببا في بعض ما وجّه إليهم من نقد خاصة ما تعلّق بقضية التعمق في المباحث البلاغية وتحليلها.

الهوامش:

[1] قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عرفة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1986 ،ص6.

[2] ينظر: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، تونس، دط، 1981 ،ص47.

[3] كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، الطبعة الأولى، 1952،ص1.

[4] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص5-6.

[5] البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الحادية عشرة، دت، ص368.

[6] البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، محمد بركات حمدي، دار البشير، الأردن، الطبعة الأولى، 1996، ص19-20.

[7] البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، محمد بركات حمدي، ص20.

[8] البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، محمد بركات حمدي، ص21.

[9] البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، محمد بركات حمدي، ص22.

[10] البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، محمد بركات حمدي، ص5.

[11] البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، فضل حسن عبّاس، دار الفرقان، الأردن، الطبعة الرابعة، 1997 ،ص71.

[12] التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، ص19.

[13] البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 2004،ص204.

[14] معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1993، ج6، ص2705.

[15] ينظر : مجاز القرآن، أبو عبيدة، تحقيق فؤاد سيزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1954 ،ج1، ص19. مقدمة التحقيق.

[16] رأى ابن تيمية أنّ أبا عبيدة لم يستعمل لفظ المجاز كقسيم للحقيقة بل استعمله ليعبّر به عن معنى الآية ، يقول " أول من تكلّم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنّى في كتابه، ولم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، وإنّما عنى بمجاز الآية ما يعبّر به عن معنى الآية "، ينظر هذا القول في كتاب الإيمان، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الخامسة، 1996،ص74. ووافق ابن تيمية في ذلك من المحدثين أمين الخولي، ومحمد رجب البيومي، وعبد العال سالم مكرم، وفؤاد سزكين، ومنهم من رأى أن لفظ المجاز هو قسيم الحقيقة، ومنهم: عبد العزيز البشري، وحنفي شرف. ينظر تفصيل هذه المواقف في: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث هجري، محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الأولى، 1980،ص108.

[17] أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998 ،ص6.

[18] مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج1، ص12.

[19] التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، ص41.

[20] تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق أحمد صقر، دار التراث، مصر، الطبعة الثانية، 1973،ص20.

[21] أثر القرآن في تطور النقد العربيّ إلى آخر القرن الرابع الهجري، محمد زغلول سلام، مكتبة الشباب، القاهرة، الطبعة الأولى، دت ،ص42.

[22] قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عرفة، ص101.

[23] قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عرفة،ص101.

[24] قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عرفة،ص101.

[25] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، دط، دت، ج3، ص729.

[26] التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، ص90.

[27] البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، فضل حسن عباس، ص105.

[28] سورة البقرة ، الآية 171.

[29] مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج1، ص12.

[30] البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، فضل حسن عباس، دار الفرقان، الأردن، الطبعة الثانية، 1999 ،ص104.

[31] خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، محمد رجب البيومي، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، دت، ،1971ص50.

[32] التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، ص98.

[33] التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، ص108.

[34] التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، ص109.

[35] قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عرفة، ص104.

[36] سورة الحج، الآية 05.

[37] سورة النور، الآية 40.

[38] مجاز القرآن، ج1، ص12.

[39] سورة السجدة، الآية 07.

[40] مجاز القرآن، ج2، ص130.

[41] سورة الأنعام، الآية 1.

[42] مجاز القرآن، ج1، ص185.

[43] سورة الأنعام، الآية 2.

[44] مجاز القرآن، ج1، ص185.

[45] ينظر أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب، القاهرة، دط، 1998،ص139.

[46] سورة البقرة، الآية 223.

[47] مجاز القرآن، ج1، ص73.

[48] سورة النور، الآية 45.

[49] مجاز القرآن، ج2، ص68.

[50] سورة التوبة، الآية 109.

[51] مجاز القرآن، ج1، ص269.

[52] أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري، ص47.

[53] سورة النحل، الآية 26

[54] مجاز القرآن، ج1، ص359.

[55] سورة الإسراء، الآية 29.

[56] مجاز القرآن، ج1، ص375.

[57] سورة إبراهيم، الآية 09.

[58] مجاز القرآن، ج1، ص336.

[59] سورة الرعد، الآية 31.

[60] مجاز القرآن، ج1، ص331.

[61] سورة آل عمران، الآية 191.

[62] مجاز القرآن، ج1، ص111.
[63] قضية الإعجاز القرآني، وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص104.
[64] سورة يوسف، الآية 04.
[65] سورة القيامة ، الآية 34.
[66] سورة البقرة، الآية 196.
[67] سورة المسد، الآية 01.
[68] سورة البقرة، الآية 30.
[69] سورة البقرة، الآية 30.
[70] مجاز القرآن، ج1، ص36/35.
[71] سورة البقرة، الآية 170.
[72] مجاز القرآن، ج1، ص63.
[73] سورة هود، الآية 24.
[74] مجاز القرآن، ج1، ص287.
[75] أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، ص5.
[76] سورة البقرة، الآيتان 01و02.
[77] سورة يونس، الآية 22.
[78] سورة القيامة، الآيتان 34/33.
[79] مجاز القرآن، ج1، ص29.
[80] أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، ص7.
[81] سورة هود، الآية 56.
[82] مجاز القرآن، ج1، ص290.
[83] سورة الأنعام، الآية 06.
[84] مجاز القرآن، ج1، ص186.
[85] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الثانية، 2007 ،ص592.
[86] سورة النمل، الآية 86.
[87] مجاز القرآن، ج2، ص96.
[88] سورة الحاقة، الآية 21.
[89] مجاز القرآن، ج1، ص279.
[90] قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عرفة، ص115.
[91] سورة يوسف، الآية 4.
[92] سورة فصلت، الآية 11.
[93] سورة الأنبياء، الآية 65.
[94] سورة النمل، الآية 18.
[95] مجاز القرآن، ج1، ص11/10.
[96] سورة الأنفال، الآية 11.
[97] مجاز القرآن، ج1، ص242.
[98] سورة الأنفال، الآية 17.
[99] مجاز القرآن، ج1، ص244.

[100] سورة الأعراف، الآية 154.

[101] مجاز القرآن، ج1، ص229.

[102] سورة يس، الآية 55.

[103] مجاز القرآن، ج2، ص163.

[104] التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، ص127.

[105] أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، محمد زغلول سلام، ص47.

[106] سورة المائدة، الآية 64.

[107] مجاز القرآن، ج1، ص170.

[108] سورة النساء، الآية 43.

[109] سورة النساء، الآية 43.

[110] مجاز القرآن، ج1، ص155.

[111] سورة الأعراف، الآية 21.

[112] مجاز القرآن، ج1، ص212.

[113] سورة الشعراء، الآية 4.

[114] مجاز القرآن، ج2، ص83.

[115] سورة المائدة، الآية 71.

[116] مجاز القرآن، ج1، ص174.

[117] سورة الفاتحة، الآية 05.

[118] مجاز القرآن، ج1، ص24.

[119] سورة طه، الآية 69.

[120] مجاز القرآن، ج1، ص15.

[121] مجاز القرآن، ج1، ص241/ ج2، ص95.

[122] لمزيد من التفصيل في هذه القضية .ينظر : زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، هيفاء عثمان عباس فدا، دار القاهرة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000، فقد فصلت فيه الحديث عن هذه القضية.

[123] سورة الفاتحة، الآية 7.

[124] مجاز القرآن، ج1، ص25.

[125] سورة البقرة، الآية 26.

[126] مجاز القرآن، ج1، ص35.

[127] سورة الأعراف، الآية 11.

[128] مجاز القررآن، ج1، ص211.

[129] سورة يوسف، الآية 91.

[130] مجاز القرآن، ج1، ص318.

[131] ينظر على سبيل المثال: مجاز القرآن، ج1، 280،ص285، ص335، ص336، ج2، ص31، ص48، ص49. اكتفى فيها بذكر أنّ الحروف زائدة من غير تعليق.

[132] قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عرفة، ص118.

[133] قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عرفة، ص118.